مقدمة

تحية للقارئ العربى حين يناقش أو يتحاور أو يطرح رؤيته ـ قبولاً أو رفضًا أو إضافة ـ أو حين يدلى بدلوه فى أخطر قضايا المرحلة بما يتسق ومتطلب الفترة واختلاف إيقاعها. وتحية أخرى حين يقرأ المثقف أو يكتب، أو حتى يتأمل ويراجع بعض ما تشهده الساحة الثقافية من معطيات وتحولات فى زحام المتغير العالمى على كل المستويات؛ الأمر الذى يستدعى ـ بدوره ـ إعادة قراءة الواقع، بعيدًا عن المزايدة أو المغالطة، وبمنأى عن التشويه أو المبالغة؛ مع الأخذ بالموضوعية والحيدة والشفافية فى تشخيص الواقع باعتباره "حالة" تحتاج إلى التأمل والمراجعة، ثم البحث الآمن عن حلول واقعية ربما تدفع نحو بناء مشروع عملى فى ضوء المتاح من آليات وإمكانات، أملاً فى تحقيق الهاجس القومى تجاه تعزيز كياننا العربى بعيدًا عن محاولات التهميش أو التسطيح أو التجاهل، أو محاولة الغض من حق المواطن العربى فى ثقته فى نفسه وتاريخه وحاضره ومستقبله.

وتحية لكل قارئ عربى يحرص على استجلاء الحقائق ليفكر ويجتهد، ويضيف من خلاله قراءته إنجازًا يتجدد ويؤثر فى زحام القضايا المجتمعية المطروحة فى هذا الكتاب من خلال وجهة نظر قابلة للإقناع، أو ـ على الأقل ـ تكون قادرة على إثارة لإثارة ضرب من "العصف الذهنى" وصولاً إلى كلمة سواء عبر ما نعيشه من تحديات تتطلب البحث الجاد، وامتلاك أدوات مواجهة التنافسية، وتحقيق الجودة، وملاحقة ثورات التكنولوجيا والتقدم العلمى والتراكم المعرفى، بما يعزز إيقاع الوعى العربى وتنمية عطاء العقل العربى بكل ما حوله من ثراء الفكر وزحام الثقافات.

لم يعد الأمر يتطلب الصمت أو الانحسار مع الانتقال الواجب من ضجيج المؤتمرات وكثرة الندوات وصياغة التوصيات والمقترحات إلى ورش العمل وإعمال

الأفكار، وتحديد المتطلبات، ووضوح الرؤى، وتعظيم الثقافة المجتمعية حول أصول المشاركة فى منظومة البحث العلمى، والارتقاء بالتعليم ـ مثلاً ـ باعتباره المشروع القومى الآمن، والذى يتواصل الرهان عليه فى ضمان التواصل والتقدم لهذه الأمة إذا أحسنت خطط الاندفاع إلى المستقبل بخُطى ثابتة وخطط قوية.

تُبنى مرتكزات هذا الكتاب على طرح رؤية لصاحب المقالات فى وجوب استنفار القارئ، وضرورة استفزازه من خلال دعوته إلى المشاركة الفكرية، ووجوب المشاكسة واصطناع الشغب الجدلى انطلاقًا مما تحمله الموضوعات من دلالات قومية، يتجلى بعضها فى قضية اللغة العربية من حيث مشكلات الدفاع عنها، ومناهج تدريسها، ودور الوزارات المعنيَّة فيها، ووجوب النظر فى تنمية قدرات مدرسيها، وتنمية مهاراتهم ضمانًا لسلامة قنوات التوصيل وإعداد النشء بشكل عصرى متميز، يضمن له سلامة الانتماء ورموز المواطنة.

ثم يأتى الحوار حول معترك حركة الثقافة الأدبية فى ظلال المتغير العالمى والعربى بما يدفع القارئ العربى إلى المشاركة فى تأمل العلاقات الوثيقة بين الإعلام والإبداع من جانب، وقراءة العلاقات البينية بين الإبداع والعلوم من جانب ثان، إلى اتخاذ بعض الرموز الكبرى مدخلاً للتطبيق من جانب ثالث.

أما الحوار حول تحديث التعليم فله من الأهمية والضرورة والحتمية ما يدعو إلى التبارى فى البحث عن طوق النجاة بدءًا من تحليل ما قبل التحديث وامتدادًا إلى قراءة منطلقات التطوير، ونظم التقويم، وضمانات الإصلاح التى ترتهن بتعظيم دور المؤسسات العلمية والثقافية، ومحاولة تخليص المجتمع من سلبيات الظواهر المؤثرة فى مساره الفكرى والاقتصادى على السواء.

وأخيرًا يأتى التصور المبدئى حول تحليل جوانب من مشروع النهضة فى العلوم الإنسانية، ونشر الرسالة القومية بما يصحح صورتنا فى ذاكرة الآخر ووجدانه، وبما يطرح صورة واقعية ورؤية مستقبلية حول امتداد الدور الحضارى، الذى انطلق من منارات الفكر العربى، لعلها تخرج ـ من جديد ـ زادًا جديدًا يبعث على مزيد من التفكير واستدعاء الذاكرة القومية، إلى عطاء عصرى، ومداخل ناجحة لبناء مستقبل أفضل للوطن والمواطن على السواء.

وأخيرًا يبقى من واجب القراءة أن تضع فى الحسبان وجوب إعداد نمط أصيل من الحصانة الفكرية والحصانة الذهنية لدى شباب هذا الوطن، الذى أحاطت به العواصف والأنواء عبر الفضائيات والسماوات المفتوحة بما يدفع إلى وجوب تعريفه برموز الانتماء والأصالة والمواطنة مدخلاً فكريًّا إلى تحديث الموروث، وبناء جسور الحوار من خلاله تجديدًا وابتكارًا وإضافة. مع تأصيل الجديد بمنطق الانتقاء وحرية الاختيار بعيدًا عن الضغوط وشبهة التبعية، بما يسمح بالإفادة من منظومة التحديث لإثراء لثقافتنا العربية واقعًا ومستقبلاً بإذن الله.

والله من وراء القصد وهو ـ سبحانه ـ يهدى السبيل

عبد الله التطاوى

القاهرة يناير ٢٠٠٥م